في ذكرى الانطلاقة .. "حماس" 27 عاما من الجهاد والصمود

الأحد 14 ديسمبر 2014 12:12 م

تعود نشأة حركة "المقاومة الإسلامية" (حماس) في جذورها إلى بدايات القرن العشرين، وتُشكّل امتداداً لجماعة "الإخوان المسلمين".

واستخدمت الحركة أسماء عدة، للتعبير عن المواقف السياسية للحركة تجاه القضية الفلسطينية، منها "المرابطون على أرض الإسراء" و"حركة الكفاح الإسلامي" وغيرها، قبل اعتماد اسمها الحالي.

وأُعلن عن تأسيس "حماس" على لسان الشيخ أحمد ياسين، بعد حادث الشاحنة الصهيونية في 6 ديسمبر/ 1987. ووزّعت الحركة بيانها التأسيسي في 14 ديسمبر، مع بدايات الانتفاضة الأولى (1987 ـ 1993)، ثم صدر ميثاق الحركة في أغسطس 1988.

ولعل أبرز ما ذكره ميثاق "حماس" هو تأكيدها على "عدم أحقية اليهود في فلسطين، غير أنها لا تمانع في القبول، مؤقتاً وعلى سبيل الهدنة، بحدود 1967، من دون الاعتراف لليهود بأي حق لهم في فلسطين التاريخية".

وبعد أربع سنوات على تأسيسها، أبعدت سلطات الاحتلال أكثر من 400 شخص من قيادات "حماس" إلى جنوب لبنان عام 1992، وشكّلت هذه العملية منعطفاً هاماً في حضور الحركة على الصعيد الإعلامي العربي الدولي.

فللمرة الأولى طُرح اسم "حماس" على طاولة مجلس الأمن، وذلك بعد صمود المبعدين، الذين سكنوا في خيام على الحدود اللبنانية، ورفضهم دخول لبنان حتى أجبروا إسرائيل على إعادتهم لبلادهم. وفي عام 1996 دخلت الحركة مرحلة خطيرة، ونفذت سلسلة من العمليات داخل إسرائيل، تحت مسمى "الثأر المقدّس"، ردّاً على اغتيال أحد أبرز قادتها، المهندس يحيى عياش.

وبعد تلك العمليات عُقد مؤتمر شرم الشيخ، بحضور دولي كبير، وتمّ خلاله تصنيف الحركة على أنها "منظمة إرهابية"، وباتت ملاحقة مالياً وسياسياً، وأعقب ذلك حملة اعتقالات واسعة لعناصرها من قبل السلطة الفلسطينية، وتم إغلاق مكاتب الحركة في الأردن وطرد قياداتها مما أدى إلى خلخلة الحركة بشكل كبير. وتجاوزت "حماس" هذه المرحلة، وأعادت بناء نفسها مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الثانية عام 2000، التي عادت فيها إلى تكثيف عملياتها الاستشهادية داخل إسرائيل.

وفي عام 2006 دخلت "حماس" منعطفاً جديداً، كانت له أبعاده على مستقبل الحركة، التي قررت خوض الانتخابات التشريعية، وتمكنت من الفوز فيها.

وشهدت مرحلة تشكيل الحكومة العاشرة، حرباً في عام 2007، بين "حماس" وحركة "فتح"، بعد انقلاب أنصار تح على نتائج الانتخابات تلاه اتفاق مكة للمصالحة وتشكيل حكومة الوحدة الوطنية، التي لم تدم طويلاً حتى تجددت الاشتباكات الدامية التي انتهت بسيطرة "حماس" على غزة.

وقبل سيطرة "حماس" على غزة عام 2007 تمكنت في 2006 من تنفيذ عملية عسكرية داخل موقع كرم أبو سالم العسكري الإسرائيلي، وخطفت الجندي الإسرائيلي جلعاد شاليت، الذي عادت وأفرجت عنه في صفقة تبادل أبرمتها مع إسرائيل برعاية مصرية في شهر أكتوبر عام 2011، تم بموجبها الإفراج عن 1027 أسيراً فلسطينياً.

وفي منتصف عام 2007 شكلت "حماس" حكومة جديدة برئاسة هنية، وواجهت في أواخر 2008 ومطلع عام 2009 حرباً إسرائيلية شرسة، أدت إلى استشهاد 1500 فلسطيني وجرح 5000 آخرين، وتدمير واسع في البنية التحتية للقطاع. تجاوزت حركة "حماس" مرحلة الحرب، ولجأت إلى حفر الأنفاق على حدود مصر في محاولة للتخلص من الحصار الذي فرضته عليها إسرائيل.

في 14 نوفمبر 2011، واجهت "حماس" مرحلة جديدة، بعد أن اغتالت إسرائيل نائب القائد العام لـ"كتائب القسام" أحمد الجعبري في مدينة غزة، وبدأت معركةً ثانية استمرت ثمانية أيام أدت إلى استشهاد 170 فلسطينيا وجرح 5000 آخرين، بالإضافة لتدمير واسع في المنشآت والبنية التحتية في غزة.

انتهت تلك الحرب، التي تمكنت "حماس" فيها للمرة الأولى، من قصف مدينتي تل أبيب، العاصمة الاقتصادية لإسرائيل، والقدس المحتلة، وذلك بتدخل تركي ومصري وقطري وأميركي. أبرمت الحركة اتفاقاً للتهدئة مع إسرائيل، بوساطة مصرية، نصّ على وقف إطلاق النار والسماح بحرية حركة الأفراد والبضائع، وإلغاء المنطقة العازلة على الحدود الشرقية لغزة، والسماح للصيادين بالعمل لمسافة ستة أميال بحرية.

انتهت مرحلة حرب الأيام الثمانية، وبعد قرابة عام ونصف العام عاد الحصار ليشتد على حركة "حماس" بعد الانقلاب على الرئيس محمد مرسي، فهدم الجيش المصري كافة الأنفاق على حدود غزة، وأغلق معبر رفح، وواجهت "حماس" أزمة مالية خانقة لم تستطع على إثرها توفير رواتب موظفيها بشكل كامل، أو المصاريف التشغيلية لحكومتها.

استمرت هذه المرحلة منذ منتصف عام 2013، وحتى اندلاع المواجهة من جديد مع إسرائيل في 13 يونيو الماضي حين فُقد ثلاثة مستوطنين إسرائيليين في الضفة الغربية، اتهمت إسرائيل "حماس" باختطافهم وقتلهم.

وبدأ التصعيد العسكري الإسرائيلي ضد الحركة بعد حادثة فقدان المستوطنين الإسرائيليين، وبلغ ذروته في 6 يوليو، باغتيال الجيش الإسرائيلي لستة من عناصر "كتائب القسام" في مدينة رفح، جنوبي قطاع غزة، ليبدأ الاحتلال قصفه غزة بكثافة في اليوم التالي.

وردت "كتائب القسام" في اليوم التالي بقصف مواقع إسرائيلية عدة برشقات من الصواريخ، قبل أن تطلق إسرائيل مساء ذلك اليوم عملية هدفت إلى تدمير البنية التحتية لـ"حماس" في غزة.

ولم تنجح الحرب التي استمرت 51 يوماً في إنهاء الحركة، التي أبدعت في إظهار قدراتها وسجلت كفاءة عالية في التجهيز لهذه الحرب، وكانت الأنفاق الهجومية أحد أهم إبداعات "القسام".